أن يأتي الكثير من قصائد الديوان الأول لتبيان الشاعرة مرشوقة بين أحضان المروج أو على سفح «جرزيم». إنه الهروب من المجال والانكفاء على الذات كعجز عن المواجهة التي لا يمكن إلا أن تكون مجانية بإزاء حصانة الواقع تجاه ردود أفعال الفرد الواحد. غير أن هذا النكوص ما يلبث أن يبحث عن حل للتوتر، فنرى الشاعرة تتخيل فارساً يأتي كمنقذ من الكآبة والوحشة. ويمثل هذا الموقف خروج الشاعرة من المنأى إلى الآخر تمام التمثيل، ولكن هذا الآخر هو الآخر الموهوم، ليس إلا. وهكذا فإن حراك محتوياتها النفسية ينقل أزمتها من نقطة معاناة الاحباط إلى نقطة أعلى هي الترجيح بين إعلان التمرد وكبحه. وهنا بالضبط يكمن جوهر الصراع.

وثمة آيتان لنا على حالة الصراع الحادة، أما أولاهما فالانسحاب إلى الطبيعة، وما هو إلا آلية نفسية تبتغي إطفاء التوتر، وأما أخراهما فوجدان الحيرة التي تعاني منها بكل وضوح. بيد أن ما تبديه من حيرة لا يعدو كونه اللحاء الخارجي لهذا الصراع التحتاني العميق:

ماذا أحس؟ شعور ثائهة عن نفسها تشقى بحيرتها

ولكن كل صراع لا يمكن أن يكون إلا بين دافعين يستثيرهما موضوع خارجي. ولئن تحدد لدينا وجود صراع، فإنه مما هو في العسر والمشقة أن يتحدد لدينا طرفاه المتضاربان المعكّران لمجمل بنيتها النفسية. بيد أن إمعان النظر في إحدى قصائد الديوان، وحصراً قصيدة «درب القمر»، وكذلك في مقدمتها المأخوذة من نيتشه، من شأنه أن يؤكد للباحث نتيجة ذات شأن. فبعدما يعثر الناس والأصحاب أزهارها بأقدامهم، وبعدما وجدت في أهلها وإخوتها تعويضاً عن العلاقة بالأغراب، نراها تعلن أن هؤلاء الأقارب أنفسهم لا يمكن للعلاقة بهم أن تترسخ، ولا بد من قطيعة.

إن الدافع الجواني يعيش، إذن، قمعه الخاص. ولهذا راحت كلمة «الصمت» تتواتر في شعرها لتشير حكماً إلى ضغط يتعرض له الشعور مبعثه من الضمير، من مملكة القيم الراسخة في نقطة العقل نفسها. وبالطبع لا يطالب الضمير إلا بشيء أساسي، «خنق» مطالب الدافع أو التكتم عليها. والحقيقة أنها كثيراً ما تقدم لنا قصائد يظهر فيها الفارس دون أن يعرفه الآخرون، ومثال ذلك قصيدة: «هل كان صدفة؟»، وهي من الديوان الثاني. وبالطبع، فإن كلمة «الصمت» تغدو ثنائية البعد: إسكات الدافع نفسه، تحت ضغط تقاليد المجتمع وأعرافه، والتكتم على خبر العلاقة، الوهمية أو الحقيقية، الراسخة بينها وبين هذا الفارس الذي تناديه على الدوام ودونما كلل.

وهكذا، فإن لفظة «الصمت» التي ما تنفك تتوارد في شعرها حتى الديوان السادس، وكأنها تثبت على حالة سابقة، تغدو بالغة الأهمية في الكشف عن طرفي الصراع الداخلي الذي يعاش جوانياً، والذي أخاله أشد عمقاً في بنيتها النفسية مما هو في شعرها. إن هذه اللفظة هي رمزية كبح الدافع المتجه نحو التعبير عن ذاته، ولذا فإنها تمثل الرقابة الذاتية، الضمير، أو الاستطاعة اللاجمة، في هذا الصراع. وبناء على ذلك فإن طرفي